

أبعاد توظيف الفضاء الروائي في روايتي "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي.



أ. سبيعي حكيمة
جامعة بسكرة

الملخص:

ستحاول في هذه الدراسة عرض تحليل حول أبعاد توظيف الفضاء الروائي، مع التطرق إلى كيفية اشتغالها وتوزيعها على العمل الروائي محل الدراسة، ولتجسيد ذلك تم التطرق لتلك الظروف القاسية التي مر بها المجتمع الجزائري خلال فترة التسعينيات التي ذكرتها أحلام مستغانمي من خلال أعمالها الروائية "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس". وتسعى هذه الدراسة إلى التأكيد على العلاقة الوطيدة بين الصورة الواقعية الاجتماعية، و الصورة الورقية الموجودة في النص الروائي، فقد فضلت الروائية أن تجعل البنية التحتية قاعدة وهي - بطبيعتها الحال - تتمثل في الموارد الاقتصادية، واعتبارها كعينة للكشف عن واقع المجتمع الجزائري الذي لا يعطي الراحة والطمأنينة الكاملة للمواطن، فبهذا يكون الفضاء الروائي سواء كان واقعي أو مثالي ينقل لنا بطريقة أو بأخرى أحداث الرواية متسلسلة، متكاملة في قالب أدبي محض.

Abstract:

This study will try to offer analysis on the employment dimensions of space fiction, and to discuss how to functioning and distribution of work novelist of study, and to reflect that were addressed to the harsh conditions experienced by Algerian society during the nineties that I Ahlam through its feature film "Memory of the Flesh "and" Chaos of the Senses.

This study seeks to emphasize the close relationship between the image of social realism, and photo paper in the narrative text, the preferred feature to make the infrastructure, the rule is - of course - is

the economic resources, and the mind of the sample revealed the reality of Algerian society, which gives comfort and tranquility full citizen, Only thus have space and novelist, whether real or ideal tells us one way or another novel sequence, integrated in the form of a purely literary.

مقدمة:

لقد قامت "ذاكرة الجسد" و "فوضى الحواس" على واقع يحيل على أحداث تاريخية تشكل نقطة تحول من سلطة الحزب الواحد إلى التعددية التي أثبتت فشلها في تحقيق الاستقرار والديمقراطية التي أرادها الشعب الجزائري حيث فاز حزب " الفيس " الذي خول لنفسه الصلاحيات كي يمارس سلطته على الشعب وعلى حريتهم وكانت هذه الظروف حلقة لا تخرج من أحداث الروايتين - محل الدراسة - مع الإشارة إلى عدم غوصهما في التاريخية التي تعتبر الإيغال في إيراد أحداث مضت ودخلت في إطار التاريخ.

وسنحاول في هذا الجزء الكشف عن مظاهر الحياة في الواقع الجزائري و الذي خصصت له الساردة جزءا كبيرا من الوصف والتقرير من خلال مدينة قسنطينة، التي كادت أن تكون البطل الرئيسي في ذاكرة الجسد وفوضى الحواس كما شكلت أرضية صالحة لتجسيد الواقعي بما يحمله من إيجابيات وسلبيات. ويصبح الفضاء الروائي تبعا لهذا مشحونا بتيارات أيديولوجية وطبقية زادت من حدة التوتر داخل النص الواحد، بل داخل الفصل والجزء الواحد، فيغدو بذلك الوعاء الذي يصب فيه الكاتب أفكاره التي وظفها في الرواية من خلال شخصياته.

01- البعد المثالي اليوتوبي: u-tope

أ/- بين اليوتوبيا والواقعية:

إن مصطلح اليوتوبيا جاء أصله من U-Tope معناها اللامكان ويقول توماس مور أنها مشتقة من مصطلح U-topose ويقصد بها جزيرة اللامكان وهي تعني " أين ملا أين له " ومن منطلق أن المفهوم الأول لليوتوبيا هو مكان اللامكان في المجتمع يمكننا أن نسلم بأنها مرتبطة بطبقة اجتماعية، فاليوطوباوية هي فكر الطبقات المحكومة المتشعبة بالتلقائية، والبساطة، والطيبة، والساذجة فنتج من جراء ذلك فكرة الطبقة الحاكمة والنزعة النفعية والبراغماتية، فظهرت فئة من الناس يدعون للتخلص منها على أساس النظرة الثورية للواقع قصد تغييره.

إن مفهوم اليوطوبيا يستعصى على الرغم من دقة ظهوره التاريخي لأن تصور الواقع كيف كان متدهور تمكن في تصور المستقبل الذي يميزه الطابع المثالي، فهي قريبة إلى المثالية أكثر منها إلى الخيالية وهذا ما يجعلنا نربطها دائماً بجمهورية أفلاطون المثالية، وهناك من تختلف آراءه مع المؤلف الذي يقول بالعلاقة الوطيدة بين اليوتوبيا والواقع، ففي القرن العشرين كثر استعمالها لأسباب معقولة في الغالب، مع أن النقد التقليدي لم يغفل عن علاقتها وقال بتصاعدها في لغة الحديث اليومي لتصبح صفة "يوتوبي" تعني أساساً "ملحق فوق القمة" غير واقعي " وأن تصف أشخاصاً بأنهم يوتوبيون أمثال أفلاطون وتوماس مور فهذا يوحي بأنهم لا يملكون حساً بالواقع.¹

وهذه النظرة - على أي حال لا تدين اليوتوبين بأنهم أشرار أو خطرون بل هم في أفضل الأحوال ناس لطفاء وفي أسوأها لا علاقة لهم بموضوع الدراسة.

وعلى العموم فإن هذه النظرة تنطبق أكثر على الأدباء الذين يدعون إلى عالم مثالي بعيداً عن كل الشوائب السلبية التي يسخط عليها هذا الأديب، فيكتب رواية أو شعراً كي يفتح باباً واسعاً على عالم مثالي وأسطوري، وكما يقول أفلاطون أن ماهو اجتماعي وواقعي تابع لها هو عقلائي ففي العقل وحده تنحل التناقضات وتنمحي الفروق والنزاعات وتنحدر الغرائز والأهواء، ومن الواضح أن النقاد والدارسين يختلفون في نظرتهم لمفهوم اليوتوبيا، فيوتوبيا أفلاطون ليست نفسها يوتوبيا توماس مور وهي بدورها ليست مثل بقية اليوتوبيات، فبعد مضي أربعة قرون على ظهور كلمة يوطوبيا ثمة في حقل النقد الأدبي والفكر السياسي، والبحث الجامعي أيضاً من يضمن مفهوم اليوطوبيا محتوى إيجابياً لم تعد تخومه وهما أو عقوق صبيان الفكر، والخيال ولا دعوة إلى المشي على أربع قوائم كالحيوان على حد تعبير بعض الفلاسفة، على رأسهم بلوخ والذي يرى أن اليوتوبيا تقوم على موقفين رئيسيين:²

أولهما: يعرف الأمل بوصفه مبدأ للوجود ويجعل من اليوتوبيا نزوع الكينونة المتوتر حياتها وحركتها.

وثانيها: يؤول الماركسية بأنها يوطوبيا عينية لذلك فصل الوجود عن مبدئه وهذا يفضي مباشرة إلى فناء حركة الغائية وخواء الباطن الإنساني.³

فالوطوبيا إذن هي مجاوزة للوجود أو قل هي الوجود الذي يتخطى الوجود، بل إنها الموجود الذي لم يوجد بعد لذلك لا نكاد نجد إطلاقاً فضاء روائياً خالياً من منطق إيديولوجيا مبثوث في ثنايا المتن الروائي وراء كيان وجودي " فكل فضاء روائي متخيل يدخل ضمن سياق إيديولوجيا معين "⁴

وهذا بالفعل ما تقوم به البطلة من خلال الروايتين ومن خلال القضايا السياسية وأملها في رؤية وطن مثالي خالي من كل تلك الدماء فهي تحلم بوطن أيطوبي يفوق الخيال ونجدها تسموا إلى العثور على تلك القيمة الإنسانية التي وظفتها بكثرة من خلال شخصيات ذاكرة الجسد أو فوضى الحواس ألا وهي الحب، فكيف تجلى ذلك انطلاقاً من أرضية الروايتين؟

1. صورة اليوطوبيا في ذاكرة الجسد وفوضى الحواس:

إن النظرة الطوباوية لم تتوقف عند اتجاه واحد فقط وإنما نجدها في كل اتجاه ذلك لأن الشقي هو الذي يكتب، والبطلة بطريقة أو بأخرى عاشت قسط من الشقاء وعانت من مرارة واقعها في الجزائر، كما تقر بذلك الروايتين مما يتعلق بالوطن بصفة خاصة وهموم الحياة الشخصية والاجتماعية، فقد واجهت خيبة أمل في قصة حبها التي بدأت تجسدها في "ذاكرة الجسد ثم فوضى الحواس" لذلك نجدها تصنع لنفسها عالماً آخر بعيداً عن عالمها وواقعها بل عالم مثالي تحاول أن تعقد من خلاله مفارقة بين ذلك العالم الصعب والعالم السماوي المثالي اليوطوبي، فمن خلال "ذاكرة الجسد" ترى بصيرة الناقد أن الجزائر تكتب تاريخها الحديث على إنقاذ تاريخها الماضي الذي سيطر عليه الطابع السياسي الوعر، فتمت قصة رمزية وقصة سياسية في الوقت ذاته كل منها تكتب الأخرى، وهما تبدوان قصتان متوازيتان ويمكن اعتبار "ذاكرة الجسد" بمثابة الصعيد الكتابي للقارئ، فنحن أمام عاشقة تكاد تكون هي الجزائر ذاتها وتهب نفسها لرجل يندد بالسلطة الغاشمة والفسادة وينتقد ذلك التطرق الذي اتخذ من القتل والتدمير ديناً ومسلماً، ويدعو إلى مدينة سالمة كل ما يميزها الحب والهدوء فها هو يتمنى ذلك "أكنت أحلم؟ كيف نسيت تلك المقولة الرائعة لا ندرية جيد لتهيي أفراحك" فكيف نسيت نصيحة كهذه،⁵ فالذات الساردة تؤكد على توالد العلاقة بين التاريخ والضمير اليوطوبي، فالطوباوية ألصق بالتاريخ والماضي "وكل من الطموح الطوباوي يولد نقيضه"⁶ حيث تجد البطلة نفسها في الرواية الأولى أمام رجل في الثانية والسبعين من عمره هو "محمد بوضياف" الذي رسم بأنه أحب الجزائر بإخلاص وجاهد وضحي بمتع الحياة ثم أفاق بعد الاستقلال ليجد نفسه نزير سجن الوطن إذا نلمس من خلال شخصيات الرواية التحصر والتذمر عن الوطن من ذلك ما يقوله خالد في الرواية "فاسقطي قسنطينة" هذا زمن السقوط السريع هل سقطت حقاً يوماً.

هذا ما لن أعرفه أبدا... ولكن أعرف فقط تاريخ سقوطك النهائي الذي سأشهد عليه بعد ذلك...⁷

كما ذهب الرئيس الراحل بوضياف على حد قول الساردة ينشد الفردوس المفقود باحثا عن مدينة يجد فيها السعادة والاستقرار فوجد بعد قسنطينة غرناطة . "هناك مدن لم تخلق لتزورها بمفردك لتتجول وتنام وتقوم فيها وتتناول فطور الصباح وحيدا هناك مدن جميلة كذكرى قريبة مدمعة مر الزمان وأنت مازلت كمياه غرناطة رقراقة الحنين...⁸ كما نجد المجاهد خالد ذهب إلى باريس تلك المدينة الهادئة، والتي تزخر بقدر كبير من الحرية، والطمأنينة لبحث عن وسط لم يجده في الجزائر، فهذه الرغبة الجامحة في الحصول على عالم أفضل، جاءت نتيجة فقدان الأحاسيس الطيبة في عالم الواقع، وخير شاهد على ذلك النداء الذي وجه لبوضياف: "إن الجزائر بحاجة إليك، أبا إلا أن يستجيب له لأنه رأى في نفسه المنقذ، والمخلص فتحامل على نفسه... جراحة وأعلن أن الكراهية لا يمكن أن تبني عالما مثاليا خاليا من المشاكل.

فالروائية تسترسل أحداث ذاكرة الجسد لتبحث عن ذلك الفردوس المفقود الذي شتت ذهنها كروائية لذلك لم تتوقف عن الحلم والتمني، فحسب، بل كانت تمزج بين ذلك المستقبل الذي ترى له كل الازدهار، وذلك الماضي الحزين الذي فقد فيه الوطن والمواطنين، والذي من خلاله فقدت الحب وحنان الأبوة، فلهذا تمزج الروائية بين الصيغتين الزميتين، بين كل من الماضي والمضارع وسنحاول توضيح ذلك تبعا لذاكرة الجسد كعينية عن بقية الأحداث المشككة للرواية ولتوضيح الصورة أكثر.

من خلال الجدول التالي:

الماضي	الصفحة	الدلالة المثاليّة انعكاسها في الواقع	المضارع	الصفحة	الدلالة والانعكاسها في عالم الواقع
ما كنت انتهي من لوحة حتى تولد لوحة أخرى، وما انتهي من حي حتى يستيقظ حي آخر وما أكاد انتهي من قنطرة حتى تصعد من داخل الخرس	190	الرغبة في الاستمرار والتطلع إلى قسنطينة أفضل في بر من الأمان والهدوء بعيدة عن ذلك الجو الموبى	- ستعودين أخيرا كنت أنتظر الخريف كما لم أنتظره من قبل - لا أصبح فقط جنونا داخليا لا علاقت له بالإبداع أريد أن أهرب بك من المدن المعلبة وأسكن حبك بيتا يشبهك في الأسرار	193	الأمل في حياة ملؤها الحب والطمانينة العمر المتعب بعد أن كانت الأمور تسير في الاتجاه المحايد
في هذه العبارة مزج بين ماضي قريب وبعيد واستشراف للمستقبل فيه نوع من الدقة، فهنا فيه نوع من التطلع بالسعادة في الحصول على المجد في الحياة الأدبية والشخصية	192 193	كنت اعتقد أن الذي خسرتَه من وزن الأيام هو الذي	كنت أحلم، فأحلم ليس في متناول الجميع. أخي كان عليه أن لا تحلم ويعود بيننا الحديث.	19 03 389	إن الشقاء يعرف كيف يختار صفاته وهنا تريد الروائية توضيح أن العالم الطوباوي المثالي الذي كانت تريد رسمه في المستقبل لن يتحقق في الحلم لأنه يتم على مستوى المتخيل وليس في متناول الجميع

فأحلام مستغانمي في هذا المقام تربط بين الواقع والحقيقة لكن ليست الحقيقة الكاملة، وإنما تمس الحقيقة على حافتها لأنها لم تحترف ولم تحسن الحلم يوما ويمكن إسقاط ذلك على شخصية البطلة التي تعاني من واقع الوطن المر، فلا جرم في أن تصدر الروائية "فوضى الحواس" بهذه الكلمات الدالة "إلى محمد بوضياف؛ رئيسا وشهيدا، إلى سليمان عميرات الذي مات بسكتة قلبية وهو يقرأ الفاتحة على روحه، فأهدوا إليه قبراً جواره، إلى ذلك الذي لم يقاوم شهوة الانضمام إليهما،⁹ ومما يلاحظه الباحث هنا أن الروائية من خلال الكلام عن الوطن المحبط وعن الرئيس بوضياف في الرواية التي ترتدي ثوب الفن، وتنزع قفاز الرواية لصالح لغة تاريخية تقريرية غابت عنها المواربة والرمز، وقد ظهرت وكأنها نسيت ما سبق أن أعلنته، وهو أن الكاتب يعيش على حافة الحقيقة ولكن لا يحترفها بالضرورة، وذلك من اختصاص المؤرخين، فالروائي في الحقيقة يحترف الحلم، أي أنه يحترف نوعاً من الكذب المحبب أو التمني البعيد والتخيل القريب، والروائي الناجح هو الذي يكذب بصدق مدهش ويتخيل ليقول أشياء قد تكون حقيقة... فالروائية مثلاً عند حديثها عن "بوضياف" لم تحترف الحلم ولا الكذب المحبب بل عملت ما يعمله المؤرخون فكانت بهذا بعيدة عن فنها الروائي الذي يشكل الواقع، ولكنه لا ينقله حرفياً.¹⁰

فقد كان في الحقيقة عالماً محدداً يحمل شكلاً خيالياً، قد يشجعنا الكتاب الواقعيون على أن نمنح التصديق لقصصهم وذلك بطمس كل البراهين، كما ينبغي أن نكون حذرين على نحو خاص لئيبعدوا محاولاتهم للسيطرة على استجاباتنا، فنجد بعض المنظرين المحدثين الواقعية للسبب نفسه الذي دفع أفلاطون لعرض المحاكمات بقوله إنها أكثر أشكال التخيل زيفاً ذلك على وجه الدقة، لأنها تظهر حقيقة مخيفة، حقيقة كونها وهم،¹¹ وبذلك تغدو الحقيقة امتداداً للتاريخ والمحاكمات امتداداً لنقل المزيّف والتخيل البعيد المدى فهي أحلام من خلال روايتها فوضى الحواس تسخط من التاريخ "أليس التاريخ هو ما يمنع المستقبل من أن يكون أي شيء،¹² فبقدر ما حاولت الروائية التزام الخطوط العريضة في عملها إلا أنها انسافت وراء سردها الذي يمكن أن نطلق عليه السرد الحلمى، الذي يحاول من خلاله الأديب أن يبحث عن معادلاً موضوعياً يسد به تلك الثغرة التي يعاني منها في حياة الواقع الصعب، فينقل إلينا السرد الحلمى جانباً مستتراً ومثيراً من حياة الشخصية الروائية، بل إنه عالم اللاوعي الغامض، حيث تحتشد كوابيس الطفولة الملامزة والأحلام المحبطة، لذلك نجد هذا النوع من السرد يعتمد على مجموعة من التقنيات الروائية كالتكثيف الدلالي والمونتاج فتارة تتخذ الروائية من الحلم مخرجاً

لها من تلك الحلقة المفرغة التي تحوم حول الشخصيات وتارة تتخذ من الواقع المرسل كنها، فها هي تثبت ذلك على لسان شخصية البطلة في فوضى الحواس "كأنني حملت يوما بأن يحدث لي ما سيحدث وها هو ذا يحدث فعلا وإذا بي أمام رجل خلقته وشوخته بنفسي".¹³

فبما أن الدراسات البنيوية لا تعطي كبير الاهتمام للمؤلف وأفكاره وصياغته أسلوبه بل تهتم بالسياق داخل النص، إلا أننا رغم هذا وذاك نلمس أن أحلام مستغانمي من خلال روايتها تعتمد على إستراتيجية الصوغ التخيلي الذي تمزج فيه الواقع بالمتخيل والمعلوم به فتجد شخصية البطلة في فوضى الحواس تحلم وتتمنى عالم تريد رسمه كما يحلو لها عالم طوباوي مثالي لا يسير فيه أحد سوى تلك الشخصية "تمنيت أن أقول كل هذا الصمت، لذلك الرجل لو أنه جاء أو ربما تمنيت أن يأتي كي نواصل كتابة هذه القصة هنا"¹⁴ فالفضاء الروائي له علاقة وطيدة بالفضاء المتخيل ومثلهما يتفاعل الفضاء مع الزمن فإن المرء كذلك بقدر ما ينضم إلى الفضاء فإنه يتخيل عالم آخر غير عالمه ويتركه ينتشر في ثنايا المتن الروائي.

ذلك لأن الفضاء شكل على الدوام محايثا للعالم¹⁵ ويصبح البعد المثالي بعدا لا يد منه في تحليل أبعاد الفضاء الروائي.

فمن وراء هذا تكمل الصورة الطوباوية والأبعاد المتكئة على أرضية الروائيتين اللتين كانتا مشروع إنجاز أحلام مستغانمي التي تصورت إمدادات لجذور قد توقفت عن العطاء وأرادت لها الاستمرار والإثمار.

ويبقى لدينا إذن مفهوم أولي لليوطوبيا ذلك لأننا لم نستطع تبعا للتحليلات السابقة أن نربط مفهومها بكل دقة، فنستمد تعريفها بالحديث جملة أو تفصيلا عن تنظيم المدينة المثالية، ولأن في ميل اليوطوبيا الجامح إلى الإمعان والتدقيقات، وهي ترسم المدينة المجهولة تبقى في علاقة مع التاريخ، من ذلك ما استعملته أحلام مستغانمي في ذاكرة الجسد من خلال إحدى شخصياتها "كانت تحلم بالماضي في زمن كان الآخرون يحلمون فيه بالمستقبل... كانت تعود إلى الماضي تلقائيا وكأنها ترفض الخروج منه، فقد كانت تلبس الماضي وتأكله ولا تطرب سوى لسماع أغانيه"¹⁶، ليس هذا فحسب بل حاولت أحلام على لسان شخصية خالد أن تنقل تأملها عن فقدانها للفردوس المفقود، لأن خالد كان يحلم بحياة عادية فيها قسط من السعادة والطمأنينة، إلا أن هذه الحياة قد سلبت منه لمدة معينة: "كان حلمي أن تكون لي زوجة وأولاد، ولكن القدر أراد لي حياة أخرى فإذا بي أذهب للغربة وأتناول الفرشاة وأخصصها للرسم... لقد بتروا أيضا أحلامي"¹⁷ فالحلم يكون على مستوى اللاشعور ويستلزم بدوره الماضي لربط الأحداث

بالحاضر فالتاريخ والماضي بهذه الطريقة يصنع اليوطوبيا، وقلما تصنع اليوطوبيا التاريخ، فهي لا تنطلق من العدم، فنجد أن الحلم اليوطوبي يتحقق أحيانا وأحيانا أخرى لا يتحقق إيجابا من حيث هي كذلك، أي على نحو سبق الحلم، بل كما يقتضي دهاء التاريخ، فلو تحققت اليوطوبيا لكفت عن أن تكون كذلك، فهي لا تتحقق بل تتبدد وتسير وتمحي رسومها الحسية الواحدة بعد الأخرى أثناء مسار الواقع المعاش، فما اليوطوبيا إلا حقائق قبل أوانها.

ونحن نبحت في نص الروائيتين عن تعاليم هذا العنصر نجد الروائية لا تقدم لنا ألبوما للصور، ولا دروسا، ولكنها تثبت ايدولوجية، ورؤية، مما يتصل بالعلاقات الإنسانية والمحيط الاجتماعي والطبيعي أيضا، والتاريخ، وهذا الاعتبار اليوطوبي يأتي لتشخيص وعي النص وعلاقته بالأحداث،¹⁸ وقد نطرح التساؤل التالي: ما هي إشكالية النص الروائي على مستوى المتخيل الواقع ؟

فروائيتي "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس" جاءتا في مسار متنوع بما فيه التراكم الشعري في السرد مما جعل الناحية فنية غاية في الإبداع، وبالتالي ينعكس على الجانب التخيلي الذي مس جميع جوانب الروائيتين، فالتخيل يستلزم الحلم والحلم مؤشر دلالي على العجز¹⁹ وبذلك يبدع الروائي ليربط بين حاضرا قاسي ومستقبل مثالي بعيد عن ذلك الواقع، ورغبة في التوازن تستدعي أحلام الروائية من خلال شخصياتها حلمها، وأن يغيب الحد الفاصل بين الحقيقة وهم العالم المثالي فالحلم يحرق خالد والفتاة أحلاما، والكل من مواجهة المسؤولية اتجاه الوطن واتجاه النفس من حب وحقد ورغبة في السعادة، ويغدوا المكان مؤشر يكرر دلالة الحلم شأنه في ذلك شأن الزمن،²⁰ فبذلك يتمنى بطل الرواية الأولى "ذاكرة الجسد" والثانية "فوضى الحواس" خالد "الحياة المثالية فيستعمل الحلم الذي يتشكل من خلال حلم اليقظة الذي يمكنه من أن يعود في اتجاه للماضي لحي تلك الذكريات الماضية ويستشف من خلالها المستقبل الزاخر بالأمل والأمان، خاصة على المستوى الشخصي والنفسي لأن خالد وأحلام الفتاة وزياد شخصيات موظفة في ذاكرة الجسد كما هي موظفة في فوضى الحواس، فخالد كان يعيش قصة حب في ذاكرة الجسد فقدم بفقدانها في فوضى الحواس فيتمنى لو فاز بهذه القصة العاطفية.

ومن المعروف في تاريخ الأدب الروائي عربيا وعالميا، لأن أي عمل يجرد من قصة حب مهما كانت صورتها وأحداثها ودلالاتها، ذلك لأن الحب فعل كوني وقيمة إنسانية بهما تستمر الحياة وعليهما يقوم الفن وفيها يقوم السارد بإحضار - على الأقل - تفسيرات يجب أن يفتن بها المتلقي حول هذا الموضوع السرد الذي ما زال بين السماء والأرض معلق ومحقق²¹ فتبقى بهذه الصورة أحداث الروائيتين بين حقيقة الماضي وخيال وتطلع لمستقبل زاهر

وهادئ ، فقد غدت الأحلام والخيال دائما الرؤية اليوتوبية أين قال أحد الاجتماعيين²² .

" فلنبذل جهدنا كي نجعل هذه الحياة محتملة، وإذا كان هذا كثيرا فلنحلم على الأقل أنها كذلك²³

وهكذا فالسلطة للخيال فنحن في الزمن التخلي - أي نعم - وهذا ما كانت تقوم به الروائية وعند التدقيق في ذاكرة الجسد وفوضى الحواس كمعنى ومبنى كحائي نستنبط ما يسمى: الزمن التخيلي السياسي عند ما تشير الساردة في رواية فوضى الحواس إلى الحكم الفاسد في البلاد وتدهور كل أوضاع الجزائر من الناحية السياسية والاقتصادية، ونلمس كذلك الزمن التخلي الاجتماعي وزمن تخلي أدبي يندرج ضمن مفهوم الرواية كجنس أدبي حاولنا الفوص في أعماقه علنا نجد تماسك وتحذر بين وحداته.

"كعادتي عندما انتهى من الكتابة ليلا، عدت إلى قراءة ذلك النص أول ما استيقظت...كمن على عجل أريد أن أعرف إن كانت تلك القصة جميلة حقاً، كما كانت تبدو لي لحظة كتابتها...أليست الكتابة كالحب: هدية، تجد فيها ما لا تتوقع العثور عليه..."²⁴

فمن خلال كل هذا يمكن القول إن الزمن التخلي أو البعد التخيلي سواء كان على المستوى السياسي الاجتماعي أو الديني، وتبقى بذلك الروح اليوتوبية ضرورة أكثر من أي زمن آخر، إنها تجسد بعدا فكريا في رواية " ذاكرة الجسد وفوضى الحواس " ولا تستدعي القوة والاستبداد والحرب والعداوة بل هي فكرة عن الإخاء الإنساني والسعادة فالبعد اليوتوبي تجسد بصور واسعة في كل أرجاء الروائيتين " محل الدراسة " لأنه هناك شيء مفتقد، وثمة ضوء قد انسحب من شخصية البطلة والروائية ككل فأول ما فقدته والها ثم وطنها ثم حبها، فراحت تبني على غرار ذلك جمهورية وعلم آخر على مستوى العلاقة الوطيدة بينها وبين الكتابة الروائية وما هي تؤكد على ذلك: " كنت أعتقد أن الرواية طريق الكاتب في أن يعيش مرة ثانية قصة أحبها... وطريقته في منح الخلود لما أحب"²⁵

فرغم هذا وذلك إلا أن البعد اليوتوبي لا بد منه. في رأي الباحث في كل الأعمال الروائية لأنه يقال إن الشقي هو الذي يكتب والشقي هنا - كما سبق والذكر - يقصد به الشخص الذي يعاني في حياته من فقدان وحرمان فهذا من أهم الأسباب التي تؤدي بهم اتخاذ الكتابة معادلا يجدون فيه كل ما يتمنونه وما يريدون تحقيقه في العالم الواقعي ورغم أن المعالم والمؤشرات اليوتوبية موجودة بكثرة في الروايتين سنحاول الإشارة بعضها بالإضافة إلى ما سبق ذكره حول التمني للوصول إلى عالم بعيد عن العالم الحقيقي:

تجسيد نماذج من الحدث اليوتوبي: "في ذاكرة الجسد وفوضى الحواس" 1- ذاكرة الجسد:

الصفحة	الحـ ب	الوطن	الكتابة	موضوع (اليوتوبيا)
08	×			- ما أجمل الذي حدث بيننا.. ما أجمل الذي لم يحدث... الذي لن يحدث
08			×	- هيئنا الأدب على فجعتنا أذن فما أكبر مساحة ما لم يحدث ما أجمل الذي لن يحدث....
21-20			×	- كيف لي أن أقرأه بحياة وهو فعل من قصّة مدهشة كتبتها قدرنا الذي تقاطع يوما.
155-154		×		- رجال ولدوا في مدن عربية مختلفة ينتمون إلى أجيال مختلفة واتجاهات سياسية مختلفة....جمعهم...سيموتون من أجل هذه الأمة...كنت لا أريد أن تنلقي في قوقعة الوطن الصغير وإن تتحوّل منقبة للآثار والذكريات.....

2- فوضى الحواس:

الصفحة	الحب	الوطن	الكتابة	موضوع (اليوتوبيا)
75-74			×	- منذ اللحظة الأولى شعرت أن يبين وبين هذا الدفتر ذبذبات ما تعدني بكتابة نص جميل على هذا الورق الأبيض الأعلى - ولأنني أعرف هذا كلما تقدمت بي الكتابة ازدادت قوة عندي تلك الحاسة التي تجعلني منذ اللحظة الأولى أحكم على هذه الأشياء أولها بحدس قلما يخطيء.
368-368		×		- تناجي الروائية الذات الروائية فتقول: "وطن أي وطن الذي كنا نعلم أن نموت من أجله وإذا بنا نموت على يده.
50-10	×			- لو يأتي...هو رجل الوقت شوقا تخاف أن يسيء به فرحها المباغت بعدما لم ... نميز الخبر بغيابه أن يأتي لو يأتي - هو قال أثناء بحثنا عن شيء آخر".

واعتمادا على الجدول السابق ودون السقوط في الإحصائية التي لا تعتبر بشكل كامل عن مضمون اليوتوبيا المتضمن في الروائيتين فإننا نصل إلى نتيجة مؤداها أن العالم المثالي الذي تتمناه الذات الإنسانية تبقى دائما في قائمة المطلوب، لأنه يساهم بشكل كبير في تمحور الأمل داخل أي عمل مشروعا للإنجاز.

2 البعد الحضاري: "ذاكرة الجسد"

نعني بالبعد الحضاري التحليل والكشف عن بنية مظاهر الحياة في مدينة قسنطينة، كما صورتها كلتا الروائيتين وسنركز على بعض الروابط التي من شأنها الكشف عن فضاء روائي متميز عن بقية الأفضية التي استقت معالم حضارتها من الماضي القديم أو من غرب بعيد، كما توحى هذه الدراسة مظاهر تتفرع عنها العادات والتقاليد التي يقوم وفقها المجتمع، وبذلك يعتبر هذا المجتمع بنية كاملة

ومتكاملة من هذه العناصر لا تكون أكثر فعالية ودينامكية إلا بواسطة الشخصية الإنسانية التي تعاملها تبعا لمبادئ تضبطها هيئتها معينة.

وأبرز هذه المظاهر الأعراس وكيفية توظيفها في الرواية الأولى "ذاكرة الجسد" لأن مواكبة هذا الأمر ييسر علينا الكشف عن بينة مكونة من علاقات إنسانية، المشترك بينهم هو الفرح والرقص.

أما العنصر الثاني يتمثل في طريقة ارتداء الملابس وما مدى تأثير هذه المظاهر اليومية في البعد الحضاري الذي يمدنا بصورة لكل من الشخصيات والمجتمع والزمن والفضاء الروائي الذي كتبت فيه الروائيتين "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس".

1- الأعراس،

كان للأعراس في الروائيتين قسما معتبرا من المساحة التي خصصتها الذات الساردة، والتي من خلالها تكشف عن بعد وميلا حضاري، وتعامل المجتمع فيما بينهم فلا نكاد نبرح الرواية الأولى "ذاكرة الجسد" حتى نجد خالد يحضر عرس أحلام، والذي بدوره يزيل الستار على هذا العرس ويصبح من الممكن لنا استخراج صورة الأعراس في قسنطينة التي من المؤكد وأن لها علاقة وطيدة بالعادات والتقاليد بدءا بالجو الاحتفالي الذي يغطي أرجاء المنزل، إلى تبيان عادات وتقاليد الشرق الجزائري، فها هو خالد يطلق العنان لنفسه كي يعبر عن البناء الكلي لهذا العرس الذي يؤلمه في أعماقه، فيعكس الصورة بنقل حركة النساء وهن يرقصن على وقع البندير والأغاني، ويظهر هذا جاليا من خلال مايلي:

"يمتلئ البيت زغاريد ويمتلئ صدري أسس، أسلم على العريس الذي يقبلني بشوق صديق قديم... وأراك لأول مرة بعد كل أشهر الغيبة، تمرين قريبة وبعيدة كنجم هاريت تسرين مثقلة الأثواب والخطى، وسط الزغاريد ودقات البندير القديمة"²⁶

فكل وحدة مستعملة في هذا المجال ترتبط بالواقع ارتباط وثيق، وتعبّر عنه في أحسن الأحوال فكل من الزغاريد ودقات البندير والأغاني المتميزة ترتبط بحالة الشخصية الروائية "خالد" فالذات السارة استعملت هذه المصطلحات تبعا لحق دلالي معين مرتبط بفضاء معين.

كما نجد إشارة في نفس الرواية مؤشر حضاري آخر من شأنه أن يضيف على العملية السردية نوع من التلاحم بالواقع كما هو معترف ألا وهو الأغاني التي كما جرت العادة أن تغنى في الأعراس من ذلك ما ذكر حول أغاني الفرقاني الذي تشهد له قسنطينة حيي يومنا هذا بخلود لأغانيه لما لها من وقع في نفوس الجمهور القسنطيني،

فهو كما تقول الروائية يغني لذوي النجوم والكراسي الأمامية، ومن أشهر أغانيه المذكورة في الرواية تلك الأغنية المشهورة تقريبا في الأرجاء الشرقية من الوطن والتي تتماشى مع كل حضارة في زمان ومكان عاش فيه مواطن جزائري وقسنطيني على وجه الخصوص، فأليك مقطع مما ورد في ذاكرة الجسد:

"يا ديني ما حلالي عرسوا....بالعوادة...."

والله لا تقطعلو عادة...ونخاف عليه...خمسة والخميس عليه"²⁷

فهذه أغنية "الفرقاني" المشهورة في مدينة قسنطينة وتتداول خاصة في الأعراس وما هذه إلا التقاء لمجموعة من الناس ينتمون إلى طبقات متنوعة في المجتمع ويمثلون بارتدائهم لأزياء الفرح الحضارة التي بواسطتها يظهر إبداع الأديب ومن خلال الفضاء الروائي يمكننا الكشف عن المستوى الذي يؤول إليه المجتمع.

وفي مقابل هذا توجد الأغاني القسنطينية التي تعكس المستوى الحضاري بما فيه السياسي والاجتماعي والديني والاقتصادي والثقافي أين تستعرض الروائية أغنية أخرى تتغلز بصالح "صالح يا صالح....عينيك عجبوني...إبه قسنطينة لكل زمن صالحة...ولكن ليست كل صالح بابا..وليس كل حاكم صالحا"²⁸

وإذا دققنا النظر في مختلف الأغاني المذكورة في الرواية نجد أن القاسم المشترك الذي يجمع بينها هو لفظ صالح، كما تجمع الذات الساردة بين قسنطينة قديما وحاضرا .

فبرغم من ذلك التناظر بين الأغاني والواقع الحالي إلا أن الرواية كنص أدبي أعطت لنا صورة متصلة وثيقة بالمجتمع الجزائري ذلك لأن:

الروائي الذي يحول الحقيقة الثابتة ليستخلص منها مغامرة فذة وجذابة ينبغي له ذكر دون اهتمام المشاكل الحقيقية، وأن يعالج الواقع كما يشاء، وأن يفصلها عن بعضها ويرتبها لينال إعجاب القارئ، "ذاكرة الجسد" جاءت بصورة ممزوجة جعلت من القارئ يستمتع بين النثر والأغنية وهذا ما يخص صياغة الأسلوب الروائي الذي ميز طريقة أحلام مستغانمي الشعرية.

فالحديث الرئيسي في هذا النص هو التقاء خالد بأحلام، اللقاء الأول الذي حدث منذ خمس وعشرين سنة ولدت وكلف الخال بتسجيلها في البلدية تلبية لطلب قائده وصديقه سي الطاهر بعد انقضاء تلك المدة... كانت البطلة إستراتيجية في علاقتها الغرامية مع خالد، حيث تمكنت من التلاعب بالكلمات لأنها كانت تدري أن

الرجل رغم كل ما فيه من أحاسيس وشعور، تتجسد هذه الصورة قبل الزواج البطلة بتلك الشخصية العسكرية.

ويتضح من خلال الرواية أن الرجل خالد لم يتوقع من المرأة أحلام أن تستند إلى إستراتيجية الكلمات واللغة في مواجهة الذكورة لأن اللغة في الموروث الحضاري والعتاد الثقافي قلعة كغيرها من المنتجات المعرفية فهي نتاج حضارة قديمة،²⁹ وسرعان ما أصبحت تلك المرأة عروسا تزين لزوج آخر غير الذي كان في الحسبان، يكن له خالد كل الحقد، وهذه الكراهية تولدت بالدرجة الأولى بدافع الحالة النفسية التي تنتاب خالد والمتمثلة في الغيرة على الفتاة أحلام التي سلبت منه، ثم على الوطن.

كما تتجسد صورة هذا الحقد على ذلك الزوج في أنه حاول استغلال الفتاة سلبية الشهاداء، لأن رجل عسكري يولي هذه الأمور أهمية كبيرة.

فالبعد الحضاري إذن لا يتجسد فقط من خلال صورة الأعراس إنما يمكن إدراج تصوير الروائية للجسور القسنطينية بما فيها قنطرة "سيدي راشد" وقنطرة الحبال.. لأن البعد الحضاري لا يكتمل إلا بالإشارة إلى هذه المعالم التاريخية التي تزخر بها مدينة من الشرق الجزائر وهي بدورها - الجسور - بنية من سلالته تاريخية التي كانت البطلة ورغم خوفها من هذه المعابر إلا أنها كانت تتردد عليها من حين لآخر فالجسر عندها هو التوأم، كما يذكرها بماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وتعتبر هذه الأخيرة بمثابة الدافع في التكوين الحضاري الذي أكثر ما يميزه هو التطور الثقافي والاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي، ومن خلال الملابس كذلك التي ترتديها الشخصيات ودلالاتها في المجتمع الجزائري أن تكشف عن إحدى المميزات الحضارية في الروائيتين.

2. الملابس؛

للملابس دورا بارزا في تبيان المستوى الحضاري لذلك يمكن لنا أن نستنبط الروائيتين ملامح بعض الملابس التقليدية والحديثة والملابس الدينية وعلاقتها بالإسلام كل هذا يمكننا استخراجها من الفضاء الروائي لذلك كان هذا الفضاء يعتبر عن بعدا حضاريا شاملا فتعتبر الملابس إذن جزءا لا يتجزأ من الفضاء الروائي لأنه كل شخصية من الشخصيات الروائية لها ما يميزها ويفصلها عن الأخرى وبذلك سنحاول في هذا العنصر تسليط الأضواء على ملابس كل من الروائيتين ودلالات ذلك على جمالها ويتعلق الأمر هنا أولا بشخصيتين أنثويتين في ذاكرة الجسد هما أما الزهرة

وأمر خالد وقبل التفصيل في هذا العنصر يجدر بنا الإشارة إلى أن الملابس أو جمالية الفضاء الروائي لا تنقيد ولا تظهر من خلال الثقافة الماضية للمجتمع لأنه عند نقل صورة الشخصية يجب نقلها في حينها وإلا فسد قصدها.³⁰

أ/ أمر خالد :

إن الإشارة لثوب "لقندورة خالد ذات اللون العنابي والميل إليها من بين كل أنواع الأثواب"³¹ تعتبر مغالطة رفيعة للتراث الحضاري القسطنطيني لأن اللون العنابي لون محبب عند المرأة القسطنطينية والمرأة في شرق الجزائر بصفة عامة ولطالما تطرز هذه الألبسة بخيوط الذهب على القطيفة وعادة ما ترتدي في المناسبات والأعراس فقد حاولت الذات الساردة أن تعطيها صورة من الصور البديعة فها هي على لسان شخصية البطل خالد معلقة شعر كتبها قسطنطينة... بعد آخر على القطيفة العنابي.³²

فإذا ربطنا رمز هذا اللون فإننا نستنتج أنه مباشرة هو قال للفرح والسعادة فقد كان بذلك الثوب القطيفة الفرقاني العنابي عبارة عن إرث تتوارثه الأجيال ليكون بعد ذلك إرثا حضاريا تزخر به مدينة قسطنطينة في المقدمة، فجعلت منه الروائية جزءا معتبرا لا يستهان به وإن لهذا المورث الحضاري أهمية وجمالا من حيث الشكل والمضمون دلالي وأخرى ، تخترق كثافتها الرمزية أفق انتظار القارئ،³³ والبحث في دلالة اللباس الحضارية في هذه الأفضية الروائية، ذاكرة الجسد وفوضى الحواس - سيميط اللثام عن هذا الواقع المعاش والكشف عم حقيقته الحضارية.³⁴

ب / خالد :

سنحاول في هذا العنصر أن نكشف عن طبيعة لباس البطل خالد من خلال ذاكرة الجسد وصورته في فوضى الحواس ونتساءل هل بقيت نفسها أم تغيرت ؟ لقد عرف خالد في الرواية الأولى بارتدائه نمط معين من الألبسة الرجالية، وتجلى في البدلات الأنيقة المصحوبة بربطات العنق وهذا النوع من اللباس يكشف عن العديد من الأشياء سواء كان ذلك على المستوى الشخصي أو على المستوى الاجتماعي لهذه الشخصية.

فاختيار هذا الطراز من الأزياء يرمز إلى مكانة اجتماعية خاصة، ويوحي بمفهوم طبقي ويؤمله إلى أن يكون لباسا خاصا بطبقة معينة ويطلق على هذا النوع من اللباس اسم الكلاسيكي (classique) وبالفعل إن خالد ينتمي إلى فئة اجتماعية جد متميزة وهي طبقة الفنانين المثقفين ، كما له تاريخ مجيد في تحرير وطنه ، فبعد عزله واستقراره بإحدى العواصم العالمية، عاصمة النور باريس، نجده يعطي للقارئ

صورة هذه المدينة ومن خلال حديثه عنها نلمس بشكل مباشر أنها ذات حضارة عريقة وبعداً فنياً أيقناً.

"هي مدينة أنيقة يخجل الواحد أن يهمل مظهره في حضرتها"³⁵ فهذا ليس بالأمر الغريب أن نشاهد "خالد باللباس الأنيق النابع من السلطة الجمالية للمكان الذي يقيم فيه، ليس هذا فحسب، إنما أناقته تظهر في ارتدائه الألوان المتناسقة"³⁶ كذلك وكأن اللون الذي أراد أن يعبر به على شخصيته هو اللون الأسود مثله.

ج/ أم الزهرة:

يبدو أن البطل خالد له علاقة وطيدة بالملابس التقليدية للمرأة الجزائرية والتي من شأنها أن تعطي الفضاء الروائي في الروايتين محل الدراسة أهمية لأنه قلما تتناول هذه الأمور في الأفضية الروائية الأخرى فهي هو البطل يقابل جدة الفتاة أحلام المسماة أما زهرة وهي شخصية تنتمي إلى جيل أم خالد ولهذا الأمر من الطبيعي أن تشترك مع أم خالد في ارتداء اللباس نفسه والذي يتمثل بالضرورة في ارتدائها الثوب التقليدي القندورة وفي أغلب الملامح فهي هو يربط بينهما:

فقد كان فيها شيء من أما من عطرها السري من طريقتها في تعصيب رأسها على جنب المحارم الحيرية وإخفاء علبة النفث الفضية في صدرها الممتلئ³⁷، ومما لا غرو فيه أن اللباس في الرواية وسيلة تسمح للمتلقي بالتحويل في مخزونه الثقافي وفق شحنات الخطاب لتفجير مكامن ذاكرته وذلك لا يتأتى إلا عند الولوج في تراث الأجداد.

غير أن هذه الحلقة التراثية سرعان ما تنحل معها حلقات، دلالية أخرى، تخترق كثافتها الرمزية أفق انتظار القارئ³⁸

د/ أحلام:

إن الثياب القديمة قد خفت، ولم يبق إلا الرمز ومنه فأحلام شابة جزائرية تحاول أن تواكب العصر ومفهومه حسب الثقافة السائدة في مجتمعها والتي لطالما تنحو منحى التأثير السلبي بالآخر.

ولقد صرح خالد من استيائه تباعاً لمشهد التقليد العربي الأعمى للنموذج الغربي "كنت تنتمين على جيل يثقل عليه حمل أي شيء وتخلع على عجل"³⁹

إن حضارة الثياب القديمة قد خفت إذن حسب الفضاء الروائي المجسد من خلال الروايتين ولم يبق منها إلا الرمز، وهذا الشأن بالنسبة للحلي بل وللتاريخ.

كما لا يفوتنا الإشارة إلا أن ميلها إلى ارتداء الفساتين البيضاء لم يكن أبدا أمرا اعتباطيا، ويظهر ذلك بشكل واضح عندما جعل خالد هذا اللون معادل اسمي لها ولشخصيتها.

فمن العادة أن ترتدي المرأة الألوان الفاتحة ذلك لما له من انعكاسات على شخصيتها فنجد بالإضافة إلى أحلام كاترين صديقة خالد الفرنسية ترتدي ألوان فاتحة كذلك والمتمثلة في اللون الأصفر، فإذا نظرنا للدلالات الاجتماعية والنفسية للون الأصفر نجد أنه "نظرا لصلته بالبياض، وضوء النهار، وارتبط بالتحضير والتهيؤ للنشاط وأهم خصائص اللعان والإشعاع وإثارة الانشراح..."⁴⁰

وعكس ما كان يجري في "ذاكرة الجسد" تماما فإن الذات التي كانت ترتدي اللون الأبيض في الرواية المذكورة نجدها ترتدي اللون الأسود في رواية فوضى الحواس تماما مثله هو الذي يرتدي الطقم الأسود ونظرات شمس سوداء، ويلبس معطفا فهو مميز المظهر "لم يعنين كثيرا عن تصوير هذه المظاهر المختلطة الألوان. تترك حتى نفسها من هذا النقد فما هي تتذمر من ارتدائها للون الأسود" وأن التي جئت صادفة لهذا اللقاء... في ثوب أسود"⁴¹

كما قد تم تحديد علاقة اللباس الأسود بالنساء من خلال العبادة ودلالاتها في المجتمع الجزائري.

وعلى العموم فالبطلة وهي تذهب إلى موعدها الغرامي مع عشيقها بشقة صفوف المتظاهرين الإسلاميين ارتدت ثوب عتيقة المحتشم عباءة وشالا يغطي شعرها وتقول عن نفسها "ما أنا أعيش بين ثياب امرأتين إحداهما تحترف الإغراء والأخرى التقوى... مرة في ثوب أسود خفيف، ومرة في عباءة فضفاضة لا يبدو منها سوى وجهي"⁴² وبذلك تغدو العبادة السوداء وسيلة ظهرت في المجتمع ولأداة للتستر والحشمة إلا أن الروائية تكشف النقاب عن تلك الرغبة الكاملة تحت هذا التستر والحشمة.⁴³

وسنحاول في الأخير الكشف على بعض المقابلات بين ألوان الملابس وأنواعها مدى ارتباطها بالحضارة ثم إلى ندى تخدم البنية الفضائية الروائية من خلال ذاكرة الجسد وفوضى الحواس.

فاللون الأسود كان علامة تطبع البطلة وصفاتها الشخصية ويربط خالد حبه بلون ثوبها الأسود وشعوره الغريب نحوها "أحبك بشعرك الطويل هذا، أتدريين كدت لا أتعرف عليك لولا ثوبك الأسود"⁴⁴ غير أن اللون الأسود هذا إن دل على شيء فإنه

يدل على امرأة حزينة ومتألّمة لكن إذا نظرنا في حقيقة الأمر "...ولكنني أعرف لك طريقة في ارتداء الأسود وكأنه معها خلق للفتنة لا للزهد".⁴⁵

فما اللون إلا موضوع سرعان ما جعلته الروائية وسيلة تستدرج بها الكلام مع البطل صاحب الطقم الأسود "أحبك في هذا الثوب.....الأسود يليق بك"⁴⁶

نوع اللباس واللون	الدلالة في ذاكرة الجسد	نوع اللباس واللون	الدلالة في فوضى الجواس
ترتدي البطلة اللون الأبيض	- دلالة عن الفرح والطمأنينة والارتياح والاستقرار والاستمرارية وهو لون ذو دلالة متناقضة	ترتدي البطلة اللون الأسود	- دلالة متناقضة فهو لون قد يوحي بالفرح وقد يوحي بالحزن أو الزهد أو الغموض وهي بالفعل كانت صفات البطلة أحلام والبطل خالد
اللباس الحديث	كان ذلك مسابقة للعصر والمكان الذي كانت فيه البطلة باريس أو البطل وأنافته المتميزة	اللباس الديني واللباس الحديث	يتجسد ذلك من خلال العبادة في الرواية الأولى وبصورة أكثر وضوح في الرواية الثانية ذلك لأن الشروح معاصرة زمنياً لكن الشكل المتمثل في العبادة السوداء تسائر التقليدي والديني

عند هذا الحد إذن تكمن صورة اللباس بصورة مصغرة، والتي من خلالها حاولنا فتح نافذة مطلّة على عالم له مميزاته وعاداته وتقاليده، وهو ما يسمى بذلك الكل المركب الذي يشكل البعد الحضاري الذي حاولنا استخراج أهم صفاته وعلاقاته بالفضاء الروائي، لأن بذور الحضارة موجودة في كل تصرف إنساني ينتمي إلى مجتمع معين.

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى أن الواقع الزمني لدى الروائية أحلام مستغانمي، كان في حالة صيرورة متواصلة عبر الأجيال، ونلمس كذلك أن قسطنطينة هي مصدر ومنبع الحياة لدى الروائية، وارتباطها بالمكان ليس بالأمر الصعب أو الغريب، بل أن دل هذا على شيء فإنه يدل على الوفاء والحنين لهذا الوطن البريء، فعندما ضاق قلبها بالأحزان والآلام والأحلام أطلقت العنان لقلمها ليكون رسولاً إلى بوحى ذاكرته، إذ كتبت أعمالها الروائية لتفرغ فيها بعضاً من ذاتها المتناهية مع أحزان الوطن، لهذا انصبت هذه الدراسة على أبعاد توظيف الأفضية الروائية في كل من "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس". وبالنظر إلى بعض المؤشرات التي حوتها كل من الروائيتين يتضح لنا مدى عمق الجرح الذي يعاني منه المجتمع الجزائري من جراء الواقع المر والصعب في الوقت نفسه.

الهوامش:

¹ راسل جاكومي: نهاية اليوتوبيا " السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة " تر: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 196.

² المرجع السابق، نهاية اليوتوبيا، ص 128.

³ المرجع نفسه، ص 196.

⁴ حسن نجمي: شعريّة الفضاء "لمتخيل، الهوية في الرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 2000، ص 33.

⁵ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الأدب، ط 16، 2001، ص 193.

⁶ أندريّة سينيا فسكي " الفكر العربي المعاصر " من النص إلى الخطاب، مجلة فكرية مستقلة تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 119.

⁷ ذاكرة الجسد، ص 217، 218.

⁸ المصدر نفسه، ص 216.

⁹ أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الأدب، بيروت، ط 10، 2000، صفحة الإهداء.

¹⁰ نقلاً عن شبكة الإنترنت. www.albayan.co.ae

¹¹ وراين أوستن وليك رينيه: نظرية الأدب، تر: محمد صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ص 232.

¹² فوضى الحواس، ص 240.

¹³ المصدر نفسه، ص 280.

¹⁴ المصدر نفسه، ص 360.

¹⁵ حسن نجمي: شعريّة الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 33.

- ¹⁶ ذاكرة الجسد، ص 107.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص نفسها.
- ¹⁸ نبيل سليمان : وعي الذات والعالم " دراسات العربية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، طبعة 1980 ، ص 11.
- ¹⁹ د يمن العيد: في معرفة النص ، دراسات في النقد الأدبي، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط 03، 1980، ص 207.
- ²⁰ المرجع السابق، ص 209.
- ²¹ Anne Banaier : l'introduction a l'analyse stylistique , Catherie formalangue, suisse Colection , paris 1991. p30.
- ²² . كتب سيبستيان ميرسيه في البيوتوبيه .
- ²³ راسل جاكوبيه : نهاية البيوتوبيه " السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة "، ص 212
- ²⁴ فوضى الحواس : ص 74 ، 75.
- ²⁵ ذاكرة الجسد: ص 18 ، 19.
- ²⁶ ذاكرة الجسد، ص 303.
- ²⁷ المصدر السابق، ص 309
- ²⁸ المصدر نفسه، ص 906 .
- ²⁹ نبيلة منادي: الخطاب الروائي الأنثوي الجزائري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف: عبد المجيد ، جامعة عنابة، 1999، ص 89.
- ³⁰ Gaston Bachelard : la poétique de l'espace, presses universitaires de France, paris, 1972 p 03.
- ³¹ ذاكرة الجسد: ص 160، 264.
- ³² المصدر نفسه، ص 340 .
- ³³ برسي لوبوك: صناعة الرواية، تر: شكري المبخوت ورجاء بنت سلامة دار توبقال، الدار البيضاء، ط 1990، 02، ص 10.
- ³⁴ الطالبة آمال بوعطيط : إستراتيجية الشخصيات في رواية ذاكرة الجسد مقارنة ، رسالة ماجستير، إشراف د . طيب بودريال، 2001، ص 690.
- ³⁵ ذاكرة الجسد، ص 21.
- ³⁶ المصدر نفسه، ص 95 .
- ³⁷ المصدر نفسه، ص 15
- ³⁸ برسي لوبوك: صناعة الرواية، ص 33.
- ³⁹ ذاكرة الجسد، ص 105.
- ⁴⁰ عمر أحمد مختار: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 02، ص 102.
- ⁴¹ المرجع السابق، ص 77.
- ⁴² فوضى الحواس، ص 170.
- ⁴³ د. صالح مفقودة: البعد الحضاري للمكان في رواية ذاكرة الجسد، مجلة العلوم الإنسانية، 2001، ع 08، ص 252.
- ⁴⁴ فوضى الحواس، ص 86.
- ⁴⁵ المصدر نفسه، ص 85.
- ⁴⁶ المصدر نفسه، ص 83.